﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣﴾

[الكهف: 2 - 3]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

كِتابُ اللهِ قَيِّمٌ لا عِوجَ فيهِ يُنْذِرُ الكافِرينَ ويُبَشِّرُ المؤْمِنينَ

لمّا وصفَ اللّهُ تعالى الكتابَ بما له من العَظمةِ في جميعِ ما مضى من أوصافه؛ من الحكمة والإحكام، والتَّفصيلِ والبيان، والحقيَّة، والإخراجِ من الظُّلماتِ إلى النّور، والجمعِ لِكُلِّ معنى والتِّبيانِ لِكُلِّ شيء، وأنَّه الكتابُ الذي يقوِّم الاعوجاجَ ويهدي إلى الحقِّ، أتبعهُ بذكرِ فائدته، وسببِ إنزاله، مُقدِّمًا ما هو الأهمُّ من درءِ المفسدةِ بالإنذارِ، فقال: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ ثُمَّ بِجَلْبِ المصلحةِ بقوله: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿قَيِّمًا﴾: الأصلُ (قوم) يدلُّ على انْتِصابٍ أَوْ عَزْمٍ، قَوَّمتُ الشَّيْءَ تَقْويمًا، وأَصْلُ القيمَةِ الواوُ، وأَصْلُهُ أَنَّكَ تُقيمُ هَذا مَكانَ ذاكَ، ومِنَ البابِ: هَذا قِوامُ الدّينِ والحَقِّ، أَيْ بِهِ يَقومُ[2]، والقَيِّمُ: صِفَةٌ مُبالَغَةٍ مِنَ القيامِ المَجازيِّ الَّذي يُطْلَقُ على دَوامِ تَعَهُّدِ شَيْءٍ ومُلازَمَةِ صَلاحِهِ[3]، والقَيِّمُ أيضًا: هو المُسْتَقيم[4]، والدِّينُ القَيِّمُ: المُسْتَقيمُ الَّذي لا زَيْغَ فيهِ ولا مَيْلَ عَنِ الحَقِّ، والقَيِّمُ كذلك: الَّذي يَتَولَّى القيامَ بالأمرِ رِعايَةً لهُ وحِفْظًا، وقيِّمُ القَوْمِ: الَّذي يَقومُ بِشأنِهِم ويَسوسُ

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 12/ 6.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قوم).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 248.
(4) الأزهري، تهذيب اللُّغة، وابن سيده، المُحكم: (قوم).

أمرَهُم، وقَيِّمُ المرأة: زَوجُها، وقَيِّمُ اليَتيم: هو الَّذي يقومُ بأمرِهِ، ويَتَعَهَّدُ شُؤونَهُ بالرِّعايَةِ والحِفْظِ[1]، والمُرادُ بالقيِّم في الآية: المُستَقيمُ، أو المُقَوِّمُ لأمورِ مَعاشِهم ومَعادِهم.

2) ﴿بَأْسًا﴾: الأَصْلُ (بأس) يدلُّ على الشِّدَّةِ وما ضارَعَها[2]، البأْسُ والبَئْسُ، على مِثالِ فَعِلٍ، العَذابُ الشَّديدُ والبأْس أيضًا: الحَرْبُ ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى قيلَ لا بَأْسَ عليكَ، ولا بَأْسَ، أَي: لا خَوْف[3]، ورَجُلٌ ذو بَأْسٍ وبَئيسٌ، أَي: شُجاعٌ، والبُؤْسُ: الشِّدَّةُ في العَيْشِ[4]، والمُرادُ بالبأْسِ في الآية: شِدَّةُ الحالِ في الحَياةِ الدُّنْيا[5].

3) ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾: الأصلُ (لدن) كَلِمَةٌ واحِدَةٌ، يُقالُ لِلَّيِّنِ مِنَ القُضْبانِ: لَدْنٌ[6]، ولَدُنْ: ظَرْفٌ غَيْرُ مُتَمَكِّنٍ بِمَنْزِلَةِ (عِنْدَ)، وهو أخصّ منها؛ لأنَّه يدلّ على ابتداء نهاية، نحو: أقمتُ عنده من لدن طلوع الشَّمس إلى غروبها، فيوضع لدن موضع نهاية الفعل، وقَدْ أَدخلوا عَلَيْهِ (مِنْ) وحْدَها مِنْ حُروفِ الجَرِّ، قالَ تَعالَى: ﴿مِّن لَّدُنَّآ﴾ [النِّساء: 67][7]، والمُراد بقوله: ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ في الآية: مِنْ قِبَلِهِ أو مِنْ عِنْدِهِ.

4) ﴿مَّـٰكِثِينَ﴾: أَصْلُ المَكْثِ يَدُلُّ على تَوقُّفٍ وانْتِظارٍ وتلبُّثٍ في المَكانِ[8]، يُقال: رَجُلٌ مَكِيْثٌ قَد مَكَثَ مَكاثَةً: وهو الرَّزِيْنُ الَّذي لا يَعْجَلُ في أمرِه[9]، والماكِثُ: المنتظر[10]، والمُكْثُ: المَقام، مَكَثَ يمكثُ مَكْثًا ومُكوثًا، وهو ماكثٌ، وقد قالوا أيضًا: رَجُلٌ مَكِيْثٌ: إذا أَقامَ بالمَكانِ[11]، والمقصود بالمُكْثِ في الآية: الاستقرار في المكان[12].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

أنزَلَ اللهُ تعالى القُرآنَ على نَبيِّه مُحَمَّدٍ مُستَقيمًا، قائِمًا على مَصالِحِ العِبادِ في دينهم

(1) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللُّغة، والرَّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدي، تاج العروس: (قوم).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بأس).
(3) الأزهري، تهذيب اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدي، تاج العروس: (بأس).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن سيده، المُحكم: (بأس).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 249.
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (لدن).
(7) الجوهري، الصِّحاح، والرَّاغب، المُفردات، وابن منظور، لسان العرب: (لدن).
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن الأثير، النِّهاية: (مكث).
(9) ابن عبَّاد، المُحيط في اللُّغة، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، والزَّبيدي، تاج العروس: (مكث).
(10) الخليل، العين: (مكث).
(11) ابن دريد، جمهرة اللُّغة: (مكث).
(12) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 250.

ودُنياهم، مُهيمِنًا على سائرِ الكُتُبِ الإلهيَّةِ، مُصَدِّقًا لها، وشاهِدًا بصِحَّتِها؛ ليُنذِرَ الكافِرينَ عَذابًا شَديدًا في الدُّنيا والآخِرةِ، يأتيهم مِن عِندِ اللَّهِ؛ ويُبَشِّرَ المُؤمِنينَ باللَّهِ ورَسولِه وبِكُلِّ ما يَجِبُ عليهم الإيمانُ به، وقد صَدَّقوا إيمانَهم بقيامِهم بالأعمالِ الصّالِحةِ؛ ويُبَشِّرُهم بأنَّ لهم ثَوابًا عَظيمًا جَميلًا، وهو الجنَّةُ، والحالُ أنَّهم باقونَ في الأجرِ الحَسَنِ الَّذي أعَدَّه اللَّهُ لهم، بلا زَوالٍ ولا انقِطاعٍ[1].

مُضاعفةُ ثواب الحسنات للمؤمنين ومنح الأجر العظيم وهو الجنَّة

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

فائدة ذِكْر ﴿قَيِّمًا﴾ عقيب قوله ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾:

الفائدة من ذكر قوله: ﴿قَيِّمًا﴾ عَقيبَ قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ لتأكيد وصفِ القرآن الكريم بأنّه لا عِوج فيه؛ بمعنى مُستقيمًا معتدلًا لا إفراط فيه ولا تفريط[2].

القرآنُ مستقيمٌ لا عوجَ فيه ومهيمنٌ على غيره من الكتبِ وقائمٌ بمصالحِ العباد

أوْ إضافةُ معاني أخرى من الحُسن والاستقامةِ والتَّقويم للكتب الأخرى وغير ذلك[3]، ولذا أتى بصيغةِ المُبالغة ﴿قَيِّمًا﴾؛ أي: بعد نفي المعاني السَّلبيَّة عنه أثبتَ له معانيَ إضافيَّةً، منها: أنَّه سببٌ لهدايةِ الخلقِ، وأنَّه يجري مجرى من يكون قيمًا على الأطفال، والقرآن كالقيِّم الشَّفيقِ القائم بمصالحِ العباد[4]؛ لأنَّ القيِّم يُطلَق على دوامِ تعهُّدِ الشَّيء وملازمةِ صلاحه، والتَّيقظِ لأحواله، فالقرآنُ قيِّمٌ على هدي الأمَّة وإصلاحها، وكمالُه متعدٍّ بالنَّفع[5].

ومنها: أنَّه المُهيمنُ على ما دونه، فالقُرآنُ مهيمِن على الكتب السَّماويَّة، ومصدقٌ لها، وشاهدٌ بصحتها[6]، وله الوصاية عليها كما

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/ 146، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 135، والسَّعدي، تيسير الكريم الرَّحمان، ص: 470.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 593، والبيضاوي، أنوار التَّنزيل: 3/ 272.

(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 423، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 248.

(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 423.

(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 248.

(6) الزَّمخشري، الكشَّاف: 3/ 494.

في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48] وقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ [الروم: 43]، أي: المُهيمنُ على الأديانِ السّابقة[1].

إذن فالقُرآنُ منفيٌّ عنه أيُّ عِوجٍ، وهو مع ذلك قيِّم معتدلٌ لا إفراطَ فيه ولا تفريط، وقيِّمٌ على غيره من الكتبِ، فهو مُكَمِّلٌ لغيره، وقائمٌ على مصالحِ العِباد.

دلالة الطِّباق بين العوج المنفي والقيِّم المُثبت:

القُرآنُ كامِلٌ في نَفْسِهِ مُكَمِّلٌ لِغَيرِهِ

جمعَ البيانُ القرآنيُّ بين لفظين مُتقابلين في المعنى وهما: نفيُ العوج وإثباتِ الاستقامة في قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ مع أنَّ الظّاهر أنَّ في أحدهما غنىً عن الآخر لفائدة مُهمَّة؛ وهي التَّأكيد، فَرُبَّ مستقيم مشهودٍ له بالاستقامة لا يخلو من أدنى عِوجٍ عند السَّير والتَّفحُّص والتَّدقيق، فجاء النَّصُّ بهما ليقطعَ أيَّ احتمالٍ بنسبةِ العوج لهذا الكتاب العظيم[2]، فيكون حينئذٍ كاملًا مُستقيمًا في نفسه؛ لأنَّ نفيَ العِوجِ عنه وصفٌ سَلبيٌّ دلَّ على كماله في نفسه، وقيِّمٌ وصفٌ إيجابيٌّ فيكون مُكَمِّلًا قيّمًا بمصالحِ العباد، أو قيِّمًا على الكتبِ السّالفة، فقد بَلَغَ في الاستقامةِ والكمالِ والتَّكميل الحَدَّ الأعلى والأسمى[3].

دلالة اللّام في قوله ﴿لِّيُنذِرَ﴾:

عِلَّةُ إنزالِ القرآنِ إنْـذارُ الكافِرينَ وبِشارَةُ المؤْمنينَ

اللّام في قوله: ﴿لِّيُنذِرَ﴾ مُتعلِّقة بقوله: ﴿أَنزَلَ﴾ على معنى المفعول لأجله؛ لتُفيدَ التَّعليل، ولتُبَيِّنَ أنَّ العِلَّة من إنزالِ القرآن الكريم على رسول الله مُحمَّد ﷺ إنَّما هي إنذارٌ للكافرين وبُشرى للمُؤمنين[4].

ولكن ليس في جعل الإنذار عِلَّة لإنزالِ الكتاب ما يقتضي اقتصارَ

(1) الشَّعراوي، خواطر الشَّعراوي: 14/ 8834.
(2) الزَّمخشريُّ، الكشَّاف: 2/ 702.
(3) الطيبي، حاشيته على الكشَّاف: 9/ 405 وابن التَّمجيد، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 5.
(4) الطَّنطاوي، التَّفسير الوسيط: 8/ 467.

عِلَلِ إنزاله على ذلك؛ لأنَّ الفِعْلَ الواحد قد تكون له عِلَلٌ كثيرة يُذكر بعضها ويُترك بعض[1].

إيثار استعمال لفظ الإنذار دون غيره:

كلَّما كانَت المخافةُ أَشدَّ كانَت النِّعْمَةُ بالإنذار أعظم

آثر النَّصُ القرآنيُّ استعمالَ لفظ ﴿لِّيُنذِرَ﴾ دون غيرها كالتَّخويف مثلًا في قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾؛ لاتّساع دلالة لفظ الإنذار؛ إذ إنَّه يشتمل في اللُّغة على التَّخويف والإبلاغِ والإعلامِ بالمُخَوَّف منه والتَّهديد والتَّحذير مِمّا يسوء؛ ليُحَذِّره ويستعدَّ له، والإنذارُ: إحْسانٌ من المُنْذِر، وكُلَّما كانَت المخافة أَشدَّ كانَت النِّعْمَةُ بالإنذار أعظم، ولِهَذا كانَ النَّبي ﷺ أعظمَ النّاس بإنذاره لَهُم عِقاب اللّه تَعالَى[2]، وهذا يَتناسَبُ مع مقصدِ إنزالِ القرآن الكريم[3]، ويُناسبُ حالَ المُخاطبين بالإنذار وهم الكُفّار ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾[4]، ويناسبُ سياق الآية؛ إذ جاء لفظ ﴿لِّيُنذِرَ﴾ مُقابل لفظ ﴿وَيُبَشِّرَ﴾ التي تُفيدُ الإخبارَ بما فيه مَسَرَّة؛ ليكون بينهما طباق، وهذا من المُحَسِّنات البديعيَّة في القرآن.

فائدة استعمال صيغة المُضارع في قوله ﴿لِّيُنذِرَ﴾:

إنْذارٌ متجدِّدٌ ومُستمِرٌّ وباقٍ ما بقيَ القُرآن.

عبَّر البيانُ الإلهيُّ بالمُضارع في قوله: ﴿لِّيُنذِرَ﴾؛ للدَّلالة على تَجَدُّد الإنذار وتكرُّرِه في كلِّ زمان ومكان؛ لأنَّ عِلّة وحكمةَ إنزالِ القُرآن الإنذارُ والتَّبشير، فهذا الإنذارُ مُستمرٌّ ما بقيَ القرآن الكريم، أي باقٍ ببقاءِ الحياة لخلود القرآن.

وهذا يقتضي من البشر أنْ ينتبهوا إلى هذا الإنذار، ويعملوا وفْقَ ما يخبرهم به ويحذِّرهم منه.

---

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 249.
(2) العسكريُّ، الفروق اللُّغوية، ص: 242.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدي، تاج العروس: (نذر).
(4) الطَّنطاوي، التَّفسير الوسيط: 8/ 467، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/ 14.

بلاغة حذف المفعول الأوّل في ﴿لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا﴾:

في حَذْفِ المفعولِ الأوَّلِ تَعْميمٌ وإيجازٌ وترغيبٌ وتهديدٌ

فعل (أنذر) يتعدَّى إلى مفعولين، فيمكن أنْ يكون التَّقدير (ليُنْذِرَ العالم) أو (لينذر العباد) أو (لينذركم) أو (لينذر الذين كفروا) بَأْسًا شَديدًا؛ لكنَّ البيانَ القرآنيَّ حذفَ المفعولَ الأوَّل في ﴿لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا﴾[1]؛ لواحدةٍ من الحكم الآتية:

الأولى: قصدُ التَّعميم[2]؛ ليشملَ كلَّ الخَلق إنْسَهُم وجنَّهم، ومُؤمنهم وكافرهم، فقَصَرَه على مفعولٍ واحدٍ ليعمَّ كُلَّ من يصحُّ قبوله الإنذار ولو تقديرًا، وقوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا﴾ يؤكّدُ هذا العموم؛ إذ هو من ذكرِ الخاصِّ بعد العامِّ.

الثّانية: ترغيبًا للكافرين في قبولِ الهداية والإيمان، واستمالةً لهم نحو الحقِّ والنّور المُبين[3]، فلو صرَّح بذكرهم لكان فيه تنفيرٌ لهم من قبولِ الهدى والإيمانِ بالحقِّ.

الثّالثة: تنزيلًا للفعلِ منزلة اللّازم؛ لأنَّ المقصودَ المنذَرُ به - وهو البأس الشَّديد - تهويلًا له، ولتهديدِ المُشركين المُنكرين إنزالَ القرآن من الله[4]، ولهذا اقتصرَ على بيانِ المنْذَر به لا المنْذَر[5]؛ لأنَّه الغرضُ المسوقُ إليه.

الرّابعة: اختصارًا واكتفاءً؛ على قاعدة (ما يلحظ لا يلفظ) لكونه مفهومًا من السّياق؛ إمّا لظهور أنَّه ينذرُ الذين لم يؤمنوا بهذا الكتاب ولا بالمُنْزَل عليه؛ لدلالة مُقابله عليه في قوله: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[6]، ولقرينةِ كونِ المنْذَر به هو بأسٌ شديد، وهذا لا يكون إلّا

(1) أبو حيَّان، البحر المُحيط: 7/ 136.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 248.
(3) القُرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 352.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 248.
(5) البقاعي، نظم الدُّرر: 12/ 6.
(6) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 12/ 7، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 249.

للكافرين، أو لوروده في الآية بعدها وهو قوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾، فحذف المنذَر في الآية الأولى لدلالةِ ذكره في الآية الثّانية[1].

نُكتة تقديم الإنذار على التَّبشير:

الـغـرضُ الأهـمُّ من نزولِ الكتاب هـو الإنـذارُ لإبطالِ ما عليه المُـشـركـون من الباطل

قدَّم البيانُ القرآنيُّ الإنذارَ على التَّبشير في قوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ على غيرِ عادةِ القرآن في مواضع أخرى، حيث يقدِّم البشارة على الإنذار، ولا سيما أنَّه في آخر سورة الإسراء قدَّم البِشارة على النِّذارة في قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، إلّا أنَّه هُنا قدَّم الإنذارَ لأمور:

الأول: لأنَّ الأهمَ من نُزولِ الكتاب هو الإنذارُ[2]؛ ولأنَّه الغرضُ الأهمُّ لإبطال ما عليه المُشركون من الباطل، وما يخلفونه في النّاس من العوائدِ الباطلة[3]، ولأنَّ الغالبَ على الإنسان مُخالفته للأوامر؛ لِما جُبل عليه من النَّقائصِ فكان الإنذارُ أهمَّ.

الثّاني: لأنَّ درءَ المفاسد مُقَدَّم على جلبِ المصالح، ولَمّا كان دفعُ الضَّرر أهمَّ عند ذوي العُقول من إيصال النَّفعِ لا جرم قدَّم الإنذار على التَّبشير[4].

الثّالث: لأنَّ التَّخليةَ مُقدَّمةٌ على التَّحليةِ، فقدَّم الإنذار على التَّبشير[5].

معنى البأس وإعرابه ﴿بَأْسًا﴾:

البأسُ الشَّديدُ منَ اللهِ العُقوبةُ الـعـاجـلـة في الدُّنيا والعذابُ الأليمُ في الآخرة

يحتمل معنى لفظ ﴿بَأْسًا﴾ في قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ عِدَّة معانٍ[6]؛ منها: شِدَّة الحالِ في الحياة الدُّنيا، وذلك هو الذي أُطلق

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 7/ 136.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاويِّ: 12/ 8.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/ 14.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 424.
(5) الهرري، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 16/ 284.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 249.

على اسم البأس في القرآن، وعليه درجَ الطَّبريُّ حيث قال: "وعنى بالبأسِ العذابَ العاجل، والنَّكالَ الحاضر والسَّطوة"[1]، وفي هذا إيماءٌ بالتَّهديدِ للمُشركين بما سيلقَونه من القتل والأسر بأيدي المُسلمين[2].

ومن معاني لفظ ﴿بَأْسًا﴾ عذابُ الآخرة فإنَّه بأسٌ شديدٌ.

ويجوز أن يحتمل كلَّ ما يشملُ بأسَ عذاب الآخرة، وبأسَ عذاب الدُّنيا، ببدرٍ وغيرها[3]، أي: "عاجلَ عُقوبته في الدُّنيا، وعذابًا أليمًا في الآخرة"[4].

وهذا العذاب المَوصوف بأنَّه بأسٌ شديد، من باب إطلاقِ الوصف وإرادة الموصوف[5]، وكثيرًا ما يحذف في القرآن الموصوف ويُكتفى بصفته.

وأمّا إعرابه: فهو مفعول به ثانٍ للفعل (أنذر) الذي يأخذُ مفعولين فحذف الأوَّل، وأبقى المفعول الثّاني؛ لأنَّ الكلامَ مَسوقٌ من أجله[6].

علَّة تنكير ﴿بَأْسًا﴾:

فـي التَّنكير دليلٌ عَلى كثرةِ العَذابِ وتهويله وأنَّه مُختصٌّ بالكافرينَ

نَكَّر البيانُ القرآني لفظ ﴿بَأْسًا﴾ في قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾؛ لإفادةِ التَّكثير والتَّهويل؛ بمعنى أنَّ ذلك البأسَ كثيرٌ ومهولٌ ومخيفٌ، وفي تهويل البأس واستعراض كثرته إيماءٌ على أنَّ هذا البأسَ مُختصٌّ بالكافرين[7].

نُكتة وصف البأس بالشِّدَّة:

وصْفُ البأسِ بالشَّديدِ إضافَةُ شِدَّةٍ إلى شِدَّةٍ وأنَّه مختصٌّ بالكافرين

جاء النَّصُّ القرآنيُّ بوصفِ البأس بأنَّه شديدٌ في قوله تعالى: ﴿بَأْسًا شَدِيدًا﴾ رغم أنَّ كُلَّ عذابِ اللّٰه شديدٌ؛ لتأكيدِ شِدَّةِ العذاب وقسوته وغلظته، ولزيادةِ التَّأكيد على أنَّ هذا البأسَ الشَّديد في

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 593.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 249.
(3) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 3/ 495.
(4) القُرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 348.
(5) أبو زهرة، وهرة التَّفاسير: 9/ 4486.
(6) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 531.
(7) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاويِّ: 12/ 8.

الآية مُختصٌّ بالكافرين[1]، فاجتمعتْ شِدَّةٌ على شِدَّةٍ؛ لأنَّ أصلَ معنى البأس في اللُّغة يدلُّ على الشَّدةِ وما ضارعها[2]، ثُمَّ وصَفَه بأنَّه شديدٌ.

فائدة الجارِّ والمجرور في قوله ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾:

أنَّ كـلَّ عَـذابٍ صـادرٍ مِـنْ عِنْدِ اللـهِ هـو عَـذابٌ شَديدٌ أَليمٌ

جاء النَّص القرآنيُّ بـ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾؛ ليدلَّ على أنَّ هذا البأسَ صادرٌ من عند الله تعالى، لا من عند غيره[3]؛ فحرفُ ﴿مِّن﴾ جاء هُنا لابتداءِ الغاية، فالبأسُ من لدن الله على الكافرين بمُقابلة كفرهم وتكذيبهم[4]، وذلك إمّا على سبيلِ الحقيقة إذا كان معنى البأس الشَّديد هو عذاب الآخرة، أو على سبيل المَجاز إذا كان معنى البأس الشَّديد هو عذاب الدُّنيا، "أمّا في عذابِ الآخرةِ فظاهر، وأمّا في عذابِ الدُّنيا؛ فلأنَّ بعضه بالقتل والأسر، وهُما من أفعالِ النّاس، ولكنَّ اللّهَ أمر المُسلمين بهما فهما من لدنه"[5].

وفي التَّقييد بأنَّه صادرٌ عن الله تعالى إرهابٌ بهذا العذاب؛ لأنَّه آتٍ من عند الواحد القهّار، وبيانٌ لشِدَّته وتأكُّدِ وقوعه، فلا مناص منه، ولا سبيل للابتعاد عن وقوعه[6].

ولَمّا كان الإنذارُ – الذي هو إعلامٌ فيه تخويفٌ وتهديد – والبأس – الذي هو العذاب –، ووصْفُهُ بالشَّديد كلٌّ ذلك من لَدُن الله سبحانه دون تحديدٍ لزمانِ العذاب ومكانه أعطى هذا كُلُّه تهديدًا وتحذيرًا أكثرَ وأشدَّ، فهو إمّا عذابُ الاستئصالِ في الدُّنيا، أو عذاب النّار في العقبى، أو كلاهما[7].

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 12/ 8.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بأس).
(3) أبو حيَّان، البحر المحيط: 7/ 137.
(4) الهرري، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 16/ 284.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 249.
(6) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 4486.
(7) الهرري، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 16/ 284.

سِرُّ إيثار لفظ ﴿لَّدُنۡهُ﴾:

في إيثار (لَدُنْهُ) مُبالغةٌ في الإنذار بقُربِ حضورِ البأسِ الشَّديد

استعمل النَّص القرآنيُّ لفظ ﴿لَّدُنۡهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ﴾؛ لأنَّه أَخَصُّ وأبلغُ من لفظ (عند)؛ فهو يدلُّ على ابتداءِ نهايةٍ، فيوضع (لدن) موضع نهايةِ الفعل[1]، وهو ظرفٌ يدلُّ على أوَّل الغايةِ وإن كان مبهمًا من حيث الزمانِ والمكانِ، وهو يستدعي حضورًا، فأنت تقول: عندي صاحب، حتى وإن كان غائبًا عن مجلسك، ولا تقول: لدي صاحب، إلّا وهو معك في مجلسك[2].

وهذه المعاني للفظ (لدن) أنسبُ للسّياقِ الذي يتحدَّث عن الإنذارِ بالبأسِ الشَّديد؛ إذ هو بأسٌ شديدٌ قريبُ الحضورِ بالنسبة لزمان المنذَرين أو مكانهم، كما أنَّ دلالته على ابتداءِ نهاية الفعل أشدُّ في الإنذار، وكأنَّ وقوع البأسِ قد بلغَ ذروته، ومِمّا يُؤكِّد هذه المعاني اقتصار ورود (لدن) في القرآن الكريم مع الله، إلّا في موطن واحد هو قوله: ﴿قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ٧٦﴾ [الكهف: 76][3].

إضافةُ (لدن) إلى ضمير الغائب في ﴿لَّدُنۡهُ﴾:

في الإضمار اختصارٌ في الكلامِ وتعظيمٌ لمضمونه

الضَّمير في قوله تعالى: ﴿مِّن لَّدُنۡهُ﴾ يعودُ على الله تعالى؛ فهو من عندِ الله تعالى الّذي لا يُعذِّبُ عذابَه أحد، ولا يوثِقُ وثاقه أحد، وقد آثرَ القرآنُ إضافةَ (لدن) إلى ضميرِ الغائب دون الاسمِ الصَّريح، فلم يقل: (من لدن الله)؛ لأمرين:

الأوَّل: اختصارًا؛ لدلالةِ السّياق عليه؛ على قاعدة (ما يلحظ لا يلفظ) إذ أتى باسم الله صريحًا في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ وأتى به ضميرًا غائبًا يعودُ على الاسمِ الصَّريح في ﴿أَنزَلَ﴾، ﴿يَجۡعَل﴾،

(1) الراغب، المفردات، ص: 739، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 2/ 245.
(2) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: 4/ 20.
(3) السامرائي، معاني النحو: 2/ 219.

﴿لِّيُنذِرَ﴾، ﴿وَيُبَشِّرَ﴾، ولأنَّ إعادةَ ذكر الاسم الظّاهر بضميره أحسُ من إعادته بلفظه.

الثّاني: تعظيمًا للإنذار بالبأسِ الشَّديد، وزيادة تخويفٍ به؛ وذلك يُفيده إضمار الاسم.

دلالة عطف جُملة ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ على ما قبلها:

عطف بشارة المؤمنين على إنذارِ الكافرين يُظهر حكمة إنزالِ الكتاب

جاءتْ جُملة ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عطفًا على جُملة: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا﴾؛ لكونها سَبَبًا آخرَ لإنزالِ الكتاب، وقد أثارتْهُ مُناسبةُ ذكرِ الإنذارِ ليبقى الإنذارُ موجَّهًا إلى غيرهم[1]، فلو لم يُعطف بذكرِ البشارة للمؤمنين لظَنَّ القارئُ أنّ الإنذارَ لجميعِ النّاس مُؤمنهم وكافرهم، إذن فهو عَطْفُ تبشيرِ المؤمنين على إنذارِ الكافرين.

نُكتة التَّصريح بالمفعول الأوَّل في ﴿وَيُبَشِّرَ﴾ وحذف المفعول الأوَّل في ﴿لِّيُنذِرَ﴾:

في التصريح بذكرِ المبشَّرين تشريفٌ، وفي حذفِ المنذَرين تحقيرٌ

صرَّح البيانُ القُرآنيُّ بالمفعول الأوَّل في قوله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في حين حذف المفعول الأوَّل في قوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾؛ لأمور ثلاثة:

الأوَّل: تشريفًا للمُؤمنين وتصريحًا بصفةِ الإيمان عندهم ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأنَّ المقامَ مقامُ تبشير؛ ولتكون هذه الصِّفة أدعى للسّامعين على أنْ يتحلَّوا بها، لينالوا البشارةَ التي أخبرهم بها الله، وتحقيرًا للكافرين بعدمِ ذِكْرِهم، والاكتفاء بالعذاب الشَّديد الذي أُعِدَّ لهم.

الثّاني: تقييدًا للبشارة بالمؤمنين دون غيرهم، وهذه عادةُ القرآن الكريم، بما يُفيد بأنَّ الإيمانَ شَرْطٌ في البشارة، بخلاف الإنذار فقد حُذِفَ مفعولُه؛ لإفادة العموم كما تقدَّم، لأنَّه في أصله يشملُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 250.

كُلَّ النّاس، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: 1]، وقال سُبحانه: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝٣٥ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝٣٦﴾ [المُدّثر: 35 - 36].

الثّالث: اختصارًا واكتفاءً؛ لأنَّ ذِكْرَ المؤمنين يدلُّ على من يُقابلهم وهم الكافرون؛ لأنَّ الأشياء تُعْرَف بضدِّها، أو لأنَّه ذُكِرَ في قوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ على رأي من اعتبرَ أنَّ المُنْذَر واحدٌ في الآيتَيْن.

سِرُّ جمع المبشَّر والمبشَّر به في آية واحدة والاقتصار على المُنْذَر أو المنذَر به في آيات الإنذار:

ذكرَ البيانُ الإلهي المبشَّر والمبشَّر به في آية واحدة في قوله: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ في حين اقتصرَ على ذكر المُنْذَر به وحذفَ المنذَر في الآية الثانية في قوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾، ثم كرر الإنذار في الآية الرابعة لكنه اقتصرَ على ذكرِ المنذَر وحذفَ المُنْذَر به في قوله: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾، أي لم يكرِّر البشارةَ حيث أتى بالمُبَشَّر والمبشَّر به في آية واحدة، في حين كرَّر الإنذار في آيتين فأتى مرَّة بالمُنْذَر به، ومرَّة بالمُنْذَر، وهذا من بديع الحذف وجليل الفصاحة[1]، فقد حذف المنذَر أوَّلًا؛ لدلالةِ الثّاني عليه، وحذفَ المُنْذَر به ثانيًا؛ لدلالةِ الأوَّل عليه - هذا على قول من قال إنَّ المنذَر في الآيتين واحد -، وأمّا من قال إنَّ المنذَر في الآيةِ الأولى عامٌّ، والمُنْذَر في الآية الثّانية خاصٌّ؛ فيكون من بابِ ذكرِ الخاصّ بعد العامِّ، وفي الحالتين مزيدُ تأكيدٍ على الإنذار، ومزيدٌ من التَّخويفِ والتَّهديدِ للكافرين، والتَّركيزُ على كلٍّ من المُنْذَر به ﴿بَأْسًا شَدِيدًا﴾ والمنذَر ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ على حدة؛ إذ كلٌّ منهما يستحقُّ

في تكرار الإنذار إطنابٌ يوحي بمزيدٍ من التَّهديدِ والتَّخويفِ للكافرين

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط في التَّفسير: 7/ 136.

الوقوف عليه والحذر منه، فهو شيءٌ عظيمٌ مخيفٌ، ومِمّا يُؤكِّد الإنذارَ أيضًا تقديم الإنذار على التَّبشير.

بلاغة المُقابلة بين إنذارِ الكافرين بالبأسِ الشَّديد وتبشيرِ المؤمنين بالأجر الحسن:

في المُقابلةِ بين الجملتين إظهارٌ للبونِ الشّاسعِ بين المنذَرين والمبشَّرين

تظهرُ بلاغةُ المُقابلة في الجُملتين: ﴿لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ﴾، ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا﴾ من خلالِ الأمور الآتية:

الأوَّل: في آيةِ الإنذارِ قال: ﴿لِّيُنذِرَ﴾، وفي آية التَّبشيرِ قال: ﴿وَيُبَشِّرَ﴾ وهذا طباق.

الثّاني: في الأولى حذفَ المنذَرَ، وذكرَ المنذَر به، وفي الثّانية ذَكَرَ المُبَشَّر والمبشَّرَ به.

الثّالث: في الأولى قال: ﴿بَأۡسٗا شَدِيدٗا﴾، وفيه ما فيه مِنَ الشِّدة والعذاب الأليم، وفي الثّانية قال: ﴿أَجۡرًا حَسَنٗا﴾، وفيه من الحُسْنِ والجمالِ ما فيه.

الرّابع: في الأولى خلَّى الجزاء فيها عن المؤكِّدات؛ لتُعطيَ مهلةً للنّاس كي يُؤمنوا ويتَّقوا البأس الشَّديد، وفي الثّانية: جاء الجزاءُ مؤكَّدًا بالجُملةِ الاسميَّة، ومُصَدَّرًا بحرف التَّوكيد ﴿أَنَّ﴾؛ ليحرصَ النّاسُ على الوصول إلى هذا الجزاءِ من خلال الإيمان والعمل الصّالح.

الخامس: في كِلْتا الجُملتين جاءَ الفعلُ بصيغةِ المُضارع؛ ليُفيدَ التَّجدُّدَ والاستمرار في الإنذار والبشارة.

وفي هذه المُقابلة بين الجُملتين إظهارٌ للبونِ الشّاسعِ بين المنذَرين والمبشَّرين، مع إمتاعِ أهلِ الفكرِ بالاستنباط.

سِرُّ التَّعبير باسم الموصول وصلته ﴿ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

في التَّقييدِ بالموصولِ دلالةٌ على عليّة استحقاقِ المؤمنين البشارةَ العظيمة

عبَّر القرآن بالاسم الموصول وصلته ﴿ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في قوله: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنًا﴾ ولم يقل: (العاملين)، لأمرين:

الأوَّل: للتَّركيزِ على الصِّلة وأهمّيتها والتَّرغيبِ بها، وهي عملُ الصّالحات، وأنَّها أعظمُ صفاتِ المُؤمنين؛ ليكونَ أدعى للسّامعين على أنْ يتحلَّوا بهذه الصِّفة؛ لينالوا البشارةَ التي أخبرهم بها اللّه سُبحانه، وفيها إيماءٌ إلى استحقاقهم هذا التَّبشير العظيم؛ بأنَّهم جمعوا بين الإيمان والعمل الصّالح[1]، "وأنَّ مدارَ قبولِ الأعمالِ هو الإيمان"[2].

الثّاني: لإظهارِ مدى البونِ الشّاسعِ بين حالِ المُنذَرين وجزائهم، وحالِ المُبشَّرين وإكرامهم؛ إذ إنَّه لَمّا ذَكَرَ أقبحَ حالٍ للمنذَرين وهو نسبة الولد للّه، وأنذرهم بالبأس الشَّديد، أتبعَ ذلك بذكرِ أفضلِ حالٍ للمُؤمنين باستمرارهم في العمل الصّالح، وبشَّرهم بالأجرِ الحسنِ ماكثين فيه أبدًا.

الثّالث: للتَّنويهِ على أهميَّة الاسمِ الموصولِ وتفخيمِه وتعظيمِه وعمومه، بما يدلُّ على كثرةِ الدّاخلين تحتَ هذه البشارة، وسعةِ رحمةِ اللّه تعالى وفضله، وشمولِ بشارته لكلِّ من يعمل الصّالحات من المؤمنين.

دلالة استخدام صيغة المُضارع في قوله ﴿يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

الاستمرارُ في الأعمالِ الصّالحةِ شرطٌ لاستحقاقِ المؤمنين للبشارة العظيمة

استعملَ البيانُ القرآنيُّ صيغةَ المُضارع التي تدلُّ على التَّجدُّد والاستمرار ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ الاستمرارَ في عملِ الصّالحات شرطٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 250.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 5/ 203.

لاستحقاق المؤمنين لهذه البشارة العظيمةِ والفوز بها، وأنْ يكون هذا دأبَهم وشأنَهم[1].

سِرُّ الاكتفاء بالصِّفة عن الموصوف في قوله ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

في الاكتفاءِ بالصِّفةِ عن الموصوفِ إيجازٌ واهتمامٌ بصفةِ الصّالحات

اكتفى البيانُ القرآني في قوله: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بذِكْرِ الصِّفةِ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ عن ذكرِ الموصوف وتقديره: (الأعمال)، فلم يقل: (الذين يعملون الأعمال الصّالحة)، وذلك لأمرين:

الأوَّل: لكونه مفهومًا من السّياق؛ إذ قوله ﴿يَعْمَلُونَ﴾ قد دلَّ على أنَّها أعمال، وإذا استوى الذِكْرُ والحذفُ فالحذفُ أبلغ، وهذه عادةٌ أغلبيَّة في القرآن؛ إذ يحذفُ الموصوف (الأعمال) ويذكر الصِّفة ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وإذ ذكرَ الصِّفة والموصوف فيكون هذا لغرضٍ أو فائدة تتعلَّق بالسّياق.

الثّاني: الاهتمامُ والتركيزُ على الصِّفةِ؛ وهي كونها صالحة.

ويمكن أنْ تكون ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ هي صفةً جرتْ مجرى الأسماءِ وخرجتْ عن كونها صفة[2].

موقع جملة ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ من الإعراب:

في بيانِ الأَجْرِ الحَسَنِ الدّائم كمالُ التَّبشير وتمامُ سرورِ المُبَشَرين

جُملة ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ مصدرٌ مؤوَّلٌ، ولإعرابها وجهان:

الأوَّل: مفعولٌ به ثانٍ لفعلِ ﴿وَيُبَشِّرَ﴾، بما يبينُ المُبشَّرَ به، وهذا القول مقبول على رأي من قال إن فعل ﴿وَيُبَشِّرَ﴾ يتعدَّى إلى مفعولين.

الثَّاني: أنَّ المصدرَ المؤوَّل منصوبٌ بنزع الخافض، وهو حرف الباء، أي (ويُبَشِّرَ المؤمنين الذين يعملون الصّالحات بأنّ لهم أجرًا حسنًا)[3]، ويكون الجارُّ والمجرور متعلّقين بفعلِ ﴿وَيُبَشِّرَ﴾، وتأويلُ المصدر يكون: بالأجر الحسن[4].

---

(1) محمَّد الهلال، تفسير القرآن الثَّري الجامع: 15/ 113.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 352.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 250.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 531.

وقد عدلَ البيانُ القرآني عن التَّعبير بالمصدرِ المؤوَّل (بالأجر) إلى الجملةِ الاسميَّة ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ التي تفيدُ الثباتَ والاستمرار؛ وذلك للدَّلالةِ على أنَّ المُبشَر به وهو الأجرُ الحَسَنُ ثابتٌ ملازمٌ لهم على إيمانهم باللّه ورسوله، وعملهم في الدُّنيا الصّالحات، ويُناسبُ ذلك أنَّ ﴿مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ هو حالٌ من الضَّمير في ﴿لَهُمْ﴾ أي المؤمنين من قوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا﴾، وهذا يدلُّ على كمالِ البشارةِ وتمامِ السُّرور بها.

دلالةُ تصدير الجُملة بحرف التَّوكيد في قوله ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾:

صَدَّرَ البيانُ القرآنيُّ جُملةَ ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ بحرف التوكيد ﴿أَنَّ﴾؛ لأمور:

وعْدُ اللهِ ثابتٌ مؤكَّدٌ لا خُلْفَ فيهِ ولا تأْخيرٌ

الأوَّل: لتأكيدِ مضمونِها، وهو ثبوتُ الأجرِ الحسنِ للمؤمنين الذين يعملون الصّالحات، وأنَّه وعدٌ لا يمكنُ أنْ يتخلّفَ، وهذا يتناسبُ مع ما اشتملتْ عليه الجُملة من مؤكّدات تفيدُ مُبالغاتٍ لا تخفى[1].

الثّاني: للإيذانِ بكمالِ مُباينةِ حالهم لحالِ المنذَرين قبلهم.

الثّالث: لإظهارِ المزيد من العنايةِ بحالِ المؤمنين والاهتمام بخبرهم[2].

عِلَّة تقديم ﴿لَهُمْ﴾ على ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾:

في تقديم ﴿لَهُمْ﴾ مزيدُ اختصاصٍ بالمؤمنين، أي لهم لا لغيرهم، واهتمامٌ بالمقدَّم وهم المؤمنون الذين يعود عليهم الضَّمير (هم)، وتشويقٌ للمؤخَّر وهو الأجرُ الحسن، بما يقتضي زيادةَ الحرصِ على أنْ يكونَ العبدُ من المؤمنين الذين يعلمون الصّالحات لينالَ الأجرَ الحَسَنَ.

في التَّقديمِ اختصاصُ المؤمنين بالأَجْر الحَسَن واهتمامٌ بهم

(1) النيسابوري، غرائب القرآن: 3/ 445.
(2) ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: 3/ 524.

نُكتة وصف الأجر بالحَسن في قوله ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾:

في وصْفِ الأَجْرِ بالحسن تبشيرٌ أيُّما تبشير

وصَفَ البيانُ القرآني الأجرَ الذي أعدَّهُ للمُؤمنين الذين يعملون الصّالحات بالحَسَنِ، فقال سُبحانه: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾؛ ليدلَّ على أنَّ هذا الأجرَ قد بلغَ غايةَ الجمالِ والكمالِ؛ لأنَّ الحُسْنَ في اللُّغة هو الجَمالُ[1]، وهو كلُّ مُبهِجٍ مرغوبٍ فيه مُستحسنٍ من جهة العقلِ والهوى والبصر والبصيرة[2]، كما أنّ الحُسْنَ ضدُّ القُبْحِ[3]، والإحْسانَ: ضدُّ الإساءَةِ، ولذلك وصفَ به أسماءه سُبحانه فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: 180]، فدلّتْ هذه المعاني كذلك على أنّ هذا الأجرَ لا مُكدِّرَ فيه ولا مُنَغِّصَ بوجهٍ من الوجوه ولا انقطاعَ له؛ إذ لو وُجد فيه شيءٌ من ذلك لم يكن حُسْنه تامًّا، فكان وصفُ الأجرِ بالحسنِ تبشيرًا أيَّما تبشير.

كما أنَّ الوصفَ بالحُسْنِ جاء مُناسِبًا لوصفِ الصَّلاح في عملهم؛ إذ الجزاءُ من جنسِ العمل، فلمّا كان العملُ صالحًا كان الأجرُ حَسَنًا[4]؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾ [الكهف: 30].

إيثار لفظ ﴿مَّٰكِثِينَ﴾ دون غيره من مُرادفاته:

أَجْرٌ حَسَنٌ فيهِ إقامةٌ واستقرارٌ وبَقاءٌ واطمئنانٌ وانتفاعٌ

آثرَ البيانُ القرآني استعمالَ لفظ ﴿مَّٰكِثِينَ﴾ في قوله: ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ دون غيره من الألفاظ المُرادفة كالإقامةِ أو الثَّباتِ أو اللُّبث؛ لاتِّساع دلالة لفظ (المُكث)، ومُناسبته للسّياق الوارد فيه؛ إذ من معاني المُكْثِ: التَّوقُّف والانتظار[5]، والأناة، والمهل، والنُّزول، والإقامة،

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، والزبيدي، تاج العروس: (حسن).
(2) الراغب، المفردات، ص: 235.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حسن).
(4) السَّعدي، تيسير الكريم الرَّحمان، ص: 469.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (مكث).

والثَّبات، والنَّفع[1]، واللُّبث، والتَّلبُّث في المكان زَمَنًا كالمقيم الثّابت[2]، وهذه المعاني تتناسبُ مع حالِ المبشَّرين ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ والأجرِ الحسن الذي أعدَّه الله لهم، ليكونوا في تمام السَّعادة، فهم مُقيمون في هذا الأجر ثابتين فيه كالمُقيم الثّابت في أناةٍ واطمئنانٍ واستقرارٍ لا نزاعَ فيه قط[3]، مُنتفعين بهذا الأجر الحَسَن.

سِرُّ التَّعبير بصيغة اسم الفاعل دون الفعل في قوله: ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا﴾:

آثر النَّظم الكريم التَّعبير بصيغةِ اسم الفاعل - وهو من أهمِّ الأسماء الصَّرفيَّة في اللُّغة العربيَّة - دون الفعل في قوله: ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا﴾، فلم يقل (يمكثون فيه أبدًا)؛ زيادةً في إيضاحِ المعنى وهو استقرارهم في الأجر الحسن؛ لأنَّ اسم الفاعل من المُشتقّات التي توضِّحُ المعنى، وتحدِّدُ الدَّلالةَ عليه بشكلٍ أدقَّ.

دوامُ مكوث المبشَّرين في الأجرِ الحسن دلالةٌ على كمالِ التَّبشير

وللإشارةِ إلى ثبوتِ ودوامِ المكوث في الأجر الحَسَن؛ لأنَّ الفعلَ يُفيدُ التَّقييد بزمنٍ مُعَيَّنٍ، بخلافِ اسم الفاعل فإنَّه يدلُّ على حَدَثٍ ثابتٍ غير مُحدَّدٍ بزمن، فيشمل الماضي والحال والمُستقبل، بما يُعطي للمعنى مزيدًا من المُبالغة لثبوتِ ودَوام استقرارهم في الأجر الحسن لا مجرَّد الحدوث؛ كونه مُتَعَلِّقًا بالجُملة الاسميَّة التي تدلُّ أيضًا على الثَّباتِ والدَّوام.

وللإشارة إلى تجدُّدِ ودوامِ المكوث في هذا الأجر؛ لأنَّ المُشتقّات في قوَّة الفعل المُضارع الذي يُفيد التَّجدُّد والاستمرار[4].

تقديم ﴿فِيهِ﴾ على ﴿أَبَدٗا﴾:

قدَّمَ البيانُ القرآنيُّ ظَرْفَ المكان على ظرف الزَّمان ﴿أَبَدٗا﴾ في

في تَقْديمِ (فيهِ) عَلى (أَبَدًا) مَزيدُ اهْتِمامٍ بالأَجْرِ الحَسَنِ وبيانٌ لعظمته وكماله

(1) الدَّامغاني، الوجوه والنَّظائر، ص: 181، والرَّاغب، المُفردات، ص: 772، والسَّمين الحلبي، عُمدة الحُفَّاظ: 4/ 103.

(2) ابن منظور، لسان العرب، والفيومي، المصباح المنير، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصَّل: (مكث).

(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 4487.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/ 134.

قوله: ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ مع أنَّ كِلا الظَّرفين مُتعلِّق بـ ﴿مَّٰكِثِينَ﴾[1]؛ اهتمامًا بما يعود عليه ضمير ﴿فِيهِ﴾ وهو الأجرُ الحسن، وبيانًا لعظمته وكماله، ودلالةً على أنَّه كالمُحيط بهم لا يُفارقهم طرفةَ عينٍ؛ إذ إنَّه شَبَّهَ ما لهم من اللَّذّاتِ والمُلائمات بالظَّرف الذي يَسْتَقِرُّ فيهِ حالُهُ[2]؛ "أي مقيمين فيه، فجعله ظرفًا لإقامتهم"[3]، لا يبغون عنه حِولًا، ولا تتطلَّع نفوسهم إلى مُفارقة ما هم فيه، فلا ملل في الجَنَّة، وهذا كذلك أنسب في السّياق لكلمة ماكثين التي جاءت قبلها، والتي تعني الاستقرار في المكان، ثُمَّ أتبعه بـ الظَّرفيَّة الزَّمانيَّة ﴿أَبَدًا﴾ التي تعني الدَّوام من غير انتهاء؛ ليكتمل نعيمُ هذا الأجر بمجموع الظَّرفَيْن، وهذا النَّعيم هو الإحاطَةُ والدَّوامُ.

فائدة الظَّرف ﴿أَبَدًا﴾:

أبديَّةُ النَّعيمِ إكمالٌ للبشارةِ وتتميمٌ للمسرَّة

قيّدَ البيانُ القرآنيُّ المكوثَ في الأجرِ الحسنِ بظرف الزَّمان ﴿أَبَدًا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾؛ إتمامًا لكمالِ البشارةِ للمؤمنين الذين يعملون الصّالحات وتتميمًا للمسرَّة؛ فإنَّ الأجرَ الحَسَنَ الذي وعدهم به ليس فقط محيطًا بهم لا يُفارقونه، بل هو أجرٌ أبديٌّ خالدٌ بإخلادِ الله سبحانه لهذا النَّعيم؛ ولذلك "لمّا كان المُكْثُ لا يقتضي التَّأبيد قال ﴿أَبَدًا﴾، وهو ظرفٌ دالٌ على زمن غير مُتناهٍ"[4]، وقال ابن عاشور: "فليس قوله: ﴿أَبَدًا﴾ بتأكيدٍ لمعنى ماكثين بل أُفيدَ بمجموعها الإحاطة والدَّوام"[5].

ولا بُدَّ من الإشارةِ إلى أنَّ إكمالَ البشارة للمؤمنين وتتميمَ المسرَّة لهم بأبديَّةِ النَّعيم، والعدولِ عن ذكر خلودَ الكافرين في النّار جاء مُناسبًا لمقام الحمد الذي ابتدأتْ به السّورة[6].

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 531.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 250.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 137.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 137.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 250، ومحمّد الهلال، تفسير القرآن النَّريّ الجامع: 15/ 114.
(6) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 12/ 9.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

القَيِّم والمستقيم:

يكاد يكون لفظا (القيِّم والمُستقيم) مترادفين؛ إذ يشتركان في أصلهما اللُّغويِّ، ويُعرَّف أحدهما بالآخر، وإيضاحُ ذلك كما يلي:

القيِّم هو المستقيمُ الحَسَنُ القيِّمُ على غيره، والمُستقيمُ هو المعتدلُ المُستوي

أصلُ (القيِّم والمُستقيم) من مادَّة (ق وم) وهو يدلُّ على انْتِصابٍ أَوْ عَزْمٍ[1]، وقَوَّمَ الشَّيْءَ تَقْويمًا فهو قويمٌ أي مستقيم[2]، وأمرٌ قَيِّمٌ: مُسْتقيم، ومنه الدّين القيّم أَيْ المُسْتَقيمُ الَّذي لا زَيْغ فيهِ ولا مَيْل عَنِ الحَقِّ، وخُلُقٌ قَيِّم أَيْ مُسْتَقيمٌ حسَنٌ، والقَيِّمُ: السَّيِّدُ، وسائِسُ الأمرِ[3].

إلّا أنَّ لفظ (القَيِّم) صفة مُشَبَّهة تدلُّ على الثُّبوت من قام يقوم قيَمًا، فهو قَيِّمٌ.

ولفظ (المُستقيم) اسم فاعل من استقامَ يستقيم استقامةً، فهو مُسْتَقيمٌ، واسْتَقامَ: اعْتدَل واسْتَوى، والاسْتِقامَةُ: الاعْتدالُ والاستواء[4].

إذن: لفظ (القيِّم) أبلغُ من لفظ (المستقيم)، فالقيِّمُ يدلُّ على صفةٍ ثابتة، وفيه مُبالغة؛ إذ يشتملُ على معنى المُستقيم المعتدل، بالإضافة إلى معنى الحسن، وكذلك "معناه أنَّه مُكَمِّلٌ لغيره وقائمٌ بمصالح الغير"[5].

فالقرآنُ قيِّم مُعتدلٌ لا إفراط فيه ولا تفريط، وقيّمٌ على غيره من الكتب، فهو مكمِّلٌ لغيره، وقائمٌ على مصالح العباد.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قوم).
(2) الجوهري، الصِّحاح: (قوم).
(3) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدي، تاج العروس: (قوم).
(4) أحمد عمر، معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة: (قوم).
(5) الزَّركشي، البُرهان في علوم القرآن: 3/ 277.

البأس والعذاب:

البأسُ شدّةٌ في العذاب وفي الحرب والفقر، والعذابُ إيجاعٌ شديدٌ وعقوبة

يتقارب لفظا (البأس، العذاب) ويُفَسَّر أحدهما بالآخر، إلا أنَّ لكلٍّ منهما ما يُميِّزه، وذلك وفق الآتي:

أوّلًا: البأسُ أصله يدلُّ على الشِّدَّةِ وما ضارَعَها[1]، والبأسُ: العذابُ، والشِّدَّة في الحرب، والخوف، والفقر[2].

ثانيًا: والعذابُ قيل أصله الضَّرْبُ ثُمَّ اسْتُعيرَ ذَلِكَ في كُلِّ شِدَّةٍ[3]، وقيل أصله من المنع، وسُميّت العقوبة والإيلام عذابًا باعتبار منعها من معاودة ما عوقِب عليه[4]، والعَذابُ الإيجاع الشَّديد[5]، والنَّكالُ والعُقوبَة[6].

ثالثًا: العذاب أحدُ معاني البأس في الاستعمال القرآنيِّ؛ إذ البأس ورد في القرآن بمعنى شِدَّة العذاب، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ [غافر: 84]، وبمعنى شِدَّة الفقر، ومعنى الحرب، والسَّطوة والنِّكاية[7].

إذن: يتميَّز البأس بمعنى الشِّدَّة، في حين يَتَمَيَّزُ العذاب بمعنى الإيجاع والإيلام الشَّديد.

كما أنَّ أحدَ معاني البأس في اللُّغة وفي الاستعمال القرآنيِّ العذابُ، في حين أنَّ البأسَ ليس أحدَ معاني العذاب، وإنَّما أتى البأسُ والشِّدَّةُ وصفًا للعذاب كما في قوله تعالى: ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ [الأعراف: 165] أي شديد.

المُكْثِ والإقامة:

يتقارب لفظا (المُكْث والإقامة) في دلالاتهما اللُّغويَّة، إذ يشتركان

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بأس).
(2) الجوهري، الصِّحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدي، تاج العروس: (بأس).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عذب).
(4) السَّمين الحلبي، عُمدة الحُفَّاظ: 3/ 43.
(5) الرَّاغب، المُفردات، ص: 554.
(6) الزَّبيدي، تاج العروس: (عذب).
(7) العسكري، الوجوه والنَّظائر، ص: 128، وابن الجوزي، نزهة الأعين النَّواظر، ص: 185.

في معنى اللُّبث والثَّبات، ويفترقان في بعض المعاني التي يتميَّز بها كلٌّ منهما، وإيضاح ذلك كما يلي:

المُكْثُ انتظارٌ مع لُـبـثٍ وثـبـات، والإقـامـةُ دوامٌ واسـتـقـرارٌ مع لُبثٍ وثبات

أوّلًا: المُكْثُ أصله (مَكَثَ) ويدلُّ على توقُّفٍ وانتظارٍ[1]، والمُكْثُ: الأَناةُ واللُّبْثُ والانْتِظارُ، ومكث: أقام وتَلَبَّثَ فَهو ماكِثٌ، ويقال المُكْثُ: الإقامةُ مَعَ الانْتِظارِ، والتَّلَبُّث في المَكانِ[2]، أو ثباتٌ مع انتظارٍ[3]، والمَكيثُ: المقيم الثّابت، والمعنى المحوريُّ اللُّبْث والتَّلبُّث في المكان زَمَنًا كالمقيم الثّابت[4].

ثانيًا: والإقامة من مادَّة (ق وم) وهو يدلُّ على انْتِصابٍ أَوْ عَزْمٍ[5]، ويعبَّرُ بالإقامةِ عن الدَّوام والاستقرار، والإقامَةُ في المكان: الثَّباتُ[6]، وأَقامَ الشَّيْءَ: أَدامَه، وأَقامَ بالمَوْضِعِ إقامَةً اتَّخَذَهُ وطَنًا، وأَقامَ بالمَكانِ إقامةً: لَبِثَ[7].

إذن: يتميَّزُ لفظُ المكثُ بمعنى الانتظار مع اللُّبثِ والتَّلبُّث والثَّباتِ زمنًا، في حين يتميَّز لفظ الإقامة بمعنى الدَّوام والاستقرار مع اللُّبث والثَّبات.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (مكث).
(2) ابن منظور، لسان العرب، والفيومي، المصباح المنير: (مكث).
(3) الرَّاغب، المُفردات، ص: 772، والسَّمين الحلبي، عُمدة الحُفَّاظ: 4/ 103.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصَّل: (مكث).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قوم).
(6) الرَّاغب، المُفردات، ص: 692 - 693، والسَّمين الحلبيُّ، عُمدة الحفَّاظ: 3/ 357.
(7) ابن منظور، لسان العرب، والفيومي، المصباح المنير: (قوم).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29 : المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-26-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»